مقدمة الطبعة الثانية

هذه هى الطبعة الثانية من كتاب « فارس بنى عبس » أقدّمها للقراء ، حيث أزمعت دار المعارف أن تعيد طبعه بعد أن مرّ على طبعته الأولى ما يزيد على عشر سنوات .

وقد أجّلت إخراج هذه الطبعة بعض الوقت ، حرصًا منى على إدخال تعديلات جوهرية على منهج البحث فى الكتاب ، وإضافة بعض الفصول إليه .. إلا أننى عدلت عن ذلك أخيراً حيث وجدت أنه سيؤدى إلى تأجيل الطبع وقتاً ليس فى مكنة الدار – وهى التى تلحّ بسرعة الإعادة – أن ترتقبه ، لاسيما أن المطاولة قد امتدَّت .

ومع هذا فقد حرصتُ على أن تجىء هذه الطبعة أوفى كثيراً من سابقتها ، فأضفتُ إليها زيادات كثيرة من أهمها فصل « المضمون الشعبى لرواية عنترة » .

وإننى لأرجو أن أتمكن فى طبعة تالية من تحقيق ما كنتُ أهدف إليه من التعرّض لبعض الموضوعات بالزيادة والتنقيح والإيضاح والتعديل .

والله أسأل أن يهدينا جميعاً سواء السبيل .

حسن عبد الله القرشى

١٤ من شوال ١٣٨٨ هـ

٣ من يناير ١٩٦٩ م

مقدمة الطبعة الثالثة

لقد كثر إلحاحُ الطَّلب على كتاب (فارس بنى عبس) وترقُّب صدور طبعة جديدة منه ، وإننى مقدِّر للجميع ما قُوبل به هذا الكتاب من تقدير كريم منذ صدور طبعته الأولى .

ولأن (عنترة) رمز بطولة ، ونبراس كفاح فى عصره ، فلاشك أنَّ سيرته الحقيقيَّة هذه ستكون حافزا لجيل شبابنا على ممارسة الحياة بصبر وصمود ، وعلى معاناتها بجلَد وثبات ؛ وعلى الله قَصْدُ السبيل ، وهو الموفِّق والمسْتَعان ،

حسن عبد الله القرشى

تصدير

بقلم المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام

١

فى أدب العرب إسلاميِّه وجاهليِّه صفحات فخار وفصول مجد ، وفيه ضروب من الفروسية وفنون من الفتوة ، وفيه ما يحفز النفوس إلى مكارم الأخلاق ، ويطمح بها إلى الدرجات العلا .

وهذا التراث المجيد ، والميراث الخالد ، فى حاجة إلى أدباء يجمعونه وينقدونه ويصنِّفونه ، وييسِّرونه للقراء ، ويقرِّبونه إلى المتأدبين ، ويعرضونه على شباب العرب مثلا عالياً فى الكرامة والإباء ، وقدوة حسنة فى المروءة والفتوة ، عليه ينشئون ، وبه فى صروف الزمان يتمثَّلون ، وبأبطاله يقتدون ، وفرسانه يتقيَّلون .

وأدبنا الجاهلى – وهو نبت الجزيرة نمته رياضها وسهولها ، ونسبته جبالها وأوديتها ، وربَّاه بردها وهجيرها ، وأرجحه نسيمها وصرصرها – لايزال فى حاجة إلى أيد تجمعه ، وعقولٍ تفقهه ، ونفوس تهشّ له ، وهمم ترتبه وتنشره ، ولن يستقيم لنا درس آدابنا الأولى إلا بهذه الأعمال ، ولا يتيسر لنا الانتفاع بها إلا بهذه المساعى .

٢

وعنترة بن شداد فارس شاعر ، نظمت فروسيته أشعاره ، وصدقت أشعارُه فروسيته ، وناهيك بشاعر ينطق لسانه عن سنانه ، وتتجلى مآثره فى بيانه ، ويضرب المثل العالى فى شجاعته وأخلاقه ، وفى شدته ولينه وفى قتاله ونسيبه ، استمع إليه قائلا :

هلَّا سألت القوم يا ابنة مالك إن كنتِ جاهلة بما لم تعلمى
ينبئك من شَهِد الوقيعة أنني أغشى الوغَى وأعفّ عند المغنم

فليت لنا فى عنترة أسوة ، فنحتمل المكاره ، ونعف عن المغانم ، حتى نكون كما وصف

رسول الله صلوات الله عليه الأنصار فقال : « إنكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلّون عند الطمع » . ما أحوجنا إلى هذه الأسوة ، وما أجدرنا أن نتأدب بهذا الأدب !

وليت المتغزلين من شعرائنا الذين يتقصفون خوراً ويسفُّون ذلاً ، ويهوون إلى كل حضيضٍ من المخازى ، وهم يحسبون أنهم يشعرون – ليتهم يسمون لمحات إلى نسيب عنترة يخلط الثغور ببريق السيوف ، ويذكر الحبيب في مآزق الهيجاء :

ولقد ذكرتك والسيوف نواهلٌ منى وبيض الهندِ تقطر مِنْ دمى
فوددتُ تقبيل السيوف لأنّها لمعت كَبارق ثَغْرك المتبسم

وهكذا نريد أدبنا خلقاً قويًّا وعاطفة علية ، وتغزلا بوميضِ السيُّوف فى مواطن الحتوف :

أيُّها المطرب الحماسىّ مَرْحى أشعلنَّ اللحُّون تفديك نَفْسى
وأجْمعِ السَّيف والنَّسيب فقدماً رام لثمَ السُّيوف شاعرُ عبس

* * *

إشْفِنى باللُّحون تنفث ناراً إنَّ فى النغمة الذَّليلةِ دائى
وأجْعلِ اللَّحن عزمةً ومضاء كصَليلِ السُّيوف فى الهيْجَاء*

ذلكم لا ما تقذى به أسماعنا وقلوبنا من الغزل الذليل فى اللفظ العليل ، والمعنى الخامد فى اللحن الهامد ، وإلى الله المشتكى .

لقد ندّ القلم فنرجع إلى عنترة .

٣

عُنى السيد الأديب الأستاذ حسن عبد الله القرشى بالفارس العربى عنترة بن شداد ، وتوافر على توضيح سيرته ودرس شعره والتعريف بقبيلته وبيئته ، فكتب فصولا من عناوينها :

العرب والجزيرة العربية
بنو عبس
سيرة عنترة :
عنترة فى سجل التاريخ
نشأته وبيئته وعشيرته

---

* الأبيات من ديوان « المثانى » لكاتب السطور .

اسم عنترة وحليته
نسب عنترة
مدارج صباه ومطالع شبابه
حياته
ملامح وسمات شخصية
صور من بطولته فى حروبه وبعض أخباره
حرب داحس والغبراء
دفاعه عن اللون الأسود
المرأة فى سيرته
نهاية عنترة :
قصة عنترة كما ألفها القصّاص
شعر عنترة :
أغراضه وأساليبه
معلقته وتحليلها
نماذج من فنه ومختارات من شعره
ما تواترت روايته من شعره
ما ورد من شعره فى بعض الكتب .

لا أقول إنه بلغ الغاية فى هذه الفصول ، ولكنه قرّب الغاية إلى السائر ، ويسّر له الطريق .. وقد مضى يعالجُ موضوعه فى إعجابٍ وحماسٍ ، فكان لأسلوبه من حماسة عنترة نصيبٌ ، وكان بحماسته حافزاً القارئَ إلى المشاركة فى الحماس والإعجاب .

٤

وقد أحسن المؤلف فى تمييزه بين شعر عنترة الذى رواه الثقات من المتقدمين ، وبين الشعر الذى نسب إليه دون سند فى كتب المتأخرين .

والحق أن درس سيرة عنترة وشعره كدرس سِيَر كل الشعراء وأشعارهم ، هو الخطوة الأولى فى التعريف بالشاعر : سيرته وفنه .

ينبغى لمن يؤرخ للشاعر أن يبدأ بالتحقيق والنقد لمعرفة شعر الشاعر وتمييزه من شعر غيره وجمعه وترتيبه .

والنقد والتحقيق فى شعر عنترة أوجب منه فى شعر جمهرة الشعراء ، فقد نسب إلى هذا الشاعر شعر كثير لا تلائم ألفاظه وأساليبه الشعر الجاهلى الصحيح ، ولا تجانس شعر عنترة الذى أثره عنه ثقات الرواة ، وأثبته ثقات المؤلفين .

والذى يقيس ما جمعه مؤلف هذا الكتاب بعنوان ما تواترت روايته عن الأصمعى وغيره ، إلى ما أثبته بعنوان ما ورد فى بعض الكتب والدواوين ، يجد الفرق الذى يجده بين شعر جاهلى مطبوع وشعر إسلامى متأخر مصنوع .

وقد حفظنا صغارا هذا الشعر السهل المنسوب إلى عنترة وطربنا له ، ثم رفضناه كباراً وعجبنا منه ؛ إذ رأيناه لا يشبه شعر الجاهلية فى ألفاظه ومعانيه وأساليبه ، ولا يقارب المأثور من شعر عنترة .

وقد بدأ المؤلف النقد والتمييز فى هذا الموضوع ، وعليه أن يكمل ما بدأه ، عليه أن يستقصى ما ينسب إلى عنترة من شعر فى مظانه ، ويميز جيده من زائفه ، وصادقه من كاذبه ، وليس هذا أمراً أتماً ، ولكنه لا يعجز الكاتب الناقد والباحث الدائب .

ورجاؤنا أن يضطرد بحث الأديب الفاضل السيد الأستاذ حسن عبد الله القرشى فى هذا الشأن ، حتى يزيل كل لَبس ويوضح كل خفىّ ، ويميز الصحيح من السقيم .

٥

وبعد فالمؤلف مشكور كل الشكر على اختيار موضوعه ، وعلى معالجته على هذه الطريقة ، مرجوٌّ للمضى فى طريقه والاستزادة من بحثه .

وقد قال فى مقدمته : « فإن وفقت إلى أن أقدم هذا النموذج البشرى الفذّ بين طيات هذا الكتاب الوجيز ، إلى الجيل العربى الحاضر المكافح فى سبيل أستعادة مجد قومه ، المناضل لتشييد عظمة أمته ، فذلك حسبى جزاء وقصارى فخرًا » .

وأنا أبشّره بأنه قد وفق بدءًا ، والله نسأل أن يديم له التوفيق حتى يوفى على الغاية ويستولى على الأمد .

والله ولى التوفيق .

عبد الوهاب عزام

جدة ٣ ربيع الثانى ١٣٧٥ ،
٢٩ تشرين الثانى ١٩٥٥ م

العرب والجزيرة العربية

تمهيد

العرب أمة ذات خصائص ومقومات ، وذات مجد وتاريخ .. ومنذ القديم كانت « شبه جزيرة العرب » مصدراً للخير ومراداً للحضارة ، لما توافر لها من رحابة المواطن ، وطبيعة السكان ، ومجالدتها للمصاعب ، وتغلبها على الأزمات والخطوب ، وحفاظها على التقاليد ، وسمو آدابها ، وقوة أخلاقها ورفعة خصالها ، وأخذها من حضارات الأمم بنصيب لا يطغى على كيانها ، بل يعزز من بنيانها ، ويثبت من أركانها ، ويقوى بالغير وشائجها وصلاتها .

ومن طبيعة العرب سلامة الذوق ، ودقة الحس . والتعلق بالفنون ، ورقة العاطفة ، وعظمة اللغة مهما تباينت اللهجات ، ويكفى لغة العرب مجداً أن تكون لغة القرآن الكريم أخلد كتاب منزَّل من رب العالمين ، جاء به خير الرسل أجمعين ، محمد النبى العربى صلى الله عليه وسلم .

شبه جزيرة العرب

سميت بلاد العرب منذ زمن الجاهلية بجزيرة العرب ، وقد ذكر الهمدانى صاحب كتاب « صفة جزيرة العرب » [1] : أنها « إنما سميت جزيرة لإحاطة الأنهار والبحار بها من جميع أقطارها وأطرافها » على نحو من تحديد مواقعها أشار إليه فى كتابه .. وإن تكن بلاد العرب فى واقعها ما هى إلا شبه جزيرة لإحاطة المياه بها من أغلب جهاتها ، وتلك صفة شبه الجزيرة كما يحددها الجغرافيون .

وشبه الجزيرة العربية جيدة المناخ ، وليس بها غابات أو أنهار أو بحيرات ، وأغلب سقياها من مياه الأمطار التى تتهاطل غزيرة فى أكثر نواحيها ، والتى تسيل فى الأودية كمجار للسيول

---

(١) راجع كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى ص ٤٧ ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٣ ، وكتاب تاريخ العرب (مطول) لفيليب حتى ج ١ ص ١٥ ، دار الكشاف ، وكتاب تاريخ العب قبل الإسلام لجواد على ، طبع بغداد ج ١ ص ٨٦ ، وكتاب العرب لإدورد عطية ص ٢ ترجمة محمد قنديل البقلى ، مطبعة دار الكتاب العربى سنة ١٩٦١ ، وكتاب مختصر تاريخ العرب لسيد أمير على ترجمة عفيف البعلبكى ، مطبعة دار العلم للملايين سنة ١٩٦١ م ، وكتاب جزيرة العرب فى القرن العشرين تأليف حافظ وهبة - ص ١ الطبعة الثالثة ، مطبعة دار لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦ م ، وكتاب جغرافية شبة جزيرة العرب للدكتور محمود طه أبو العلا ج ١ ص ٥ ، مطبعة لجنة البيان العربى سنة ١٩٦٥ م .

وتعقب غُدراناً ، كما يندلح الماء فى باطن الأرض وقيعانها ، ومن ثم تنتج عنه العيون والآبار والرياض ، وهى مجتمع المياه فى مستكنٍ من الأرض [١] .

العرب الحاضرة والبادية :

حفظ التاريخ لعرب الجنوب ثقافتهم المعروفة ، وحضارتهم وآثارهم فى مختلف حيواتهم ومعائشهم [٢] ، كما نوه بها القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ لَقَد كانَ لِسبإٍ فى مسْكَنِهم آيةٌ جنَّتانِ عن يمينٍ وشِمالٍ ، كلُوا من رزْقِ ربِّكُم واشْكرُوا لهُ ، بلدةٌ طيِّبةٌ ورب غَفورٌ * فأعْرَضوا فأرْسَلْنا عَلَيهم سَيْل العَرمِ وبدَّلناهُم بجنَّتيهم جنَّتيْنِ ذواتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وأثْلٍ وشَىْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَليلٍ ﴾ [سبأ أيتا ١٥ ، ١٦] .

وأما البداة من العرب فى جاهليتهم فهم – وإن كانوا قد حُرموا الحياة المدنية الرفهة التى أتيحت لإخوانهم عرب الجنوب – قد جُبلوا على عادات وتقاليد كوَّنت لهم لوناً مُعيَّناً من الحياة يتلاءم وحاجتهم ، لم يستطيعوا فكاكاً من ربقته ، كما أنه طَبع معيشتهم بطبيعة الصحراء التى يعيشون فى أرباضها وأكنافها .

الحياة الروحية والاجتماعية والعقلية فى العصر الجاهلى :

عهد الجاهلية هو ذلك العصر الذى لم يكن لبلاد العرب فيه رسول موحى إليه ، ولا كتاب منزَّل ، ولا قوانين تضبط أوضاعهم الفردية والجماعية ، وعلى وجه أخص نستطيع أن نحدد عصر الجاهلية على مفهوم أقرب وألصق بالمؤثرات والعوامل ، التى صهرت بيئة العرب ، وشكلت أحوالهم الاجتماعية ، بأنه يشمل القرن السابق مباشرة لظهور الإسلام [٣] ، ويحدده الجاحظ فى معرض تحديده لميلاد الشعر العربى بقرن ونصف قبل الإسلام إلى قرنين من الزمان ، وذلك فى اعتقادنا تضييق لمدة هذا العصر ، طالما أن الوثائق والكشوف ما تزال رهن بحث الباحثين .

« .. وكان أهل الجاهلية قُبيل الإسلام يدعون أنهم على دين إبراهيم الخليل ، وهو الدين الحنيف الذى دعاهم إسماعيل أبو العدنانية إليه ، ثم جاء النبى صلى الله عليه وسلم مجدِّداً له .

---

(١) محمد مبروك نافع / عصر ما قبل الإسلام م السعادة ١٩٥٢

(٢) غوستاف لوبون / حضارة العرب ت عادل زعيتر ص ٥٥ وما بعدها ط عيسى الحلبى .

(٣) فيليب حتى [مطول] / تاريخ العرب حـ ١ ص ١١٨ ؛ والكشاف ؛ والجاحظ / الحيوان حـ ١ ص ٨٤ ؛ وشوقى ضيف / العصر الجاهلى ص ٣٩ نشر دار المعارف ، الطبعة الثانية ؛ ومادة جاهلية فى دائرة المعارف الإسلامية الطبعة العربية ص ٢٦٤ ؛ وكارلو نالينو / تاريخ الآداب العربية ص ٥٤ ط دار المعارف عام ١٩٥٤ ، ويوسف خليف / الشعراء الصعاليك ص ٩ .

بيد أنهم كانوا بعيدين عن نواهى شريعة إبراهيم ، ومهملين ما أتت به من مكارم الأخلاق ، والدعوة التوحيدية الخالصة لوجه الله ، فكثرت معاصيهم ، واتخذوا وسطاء يتقربون بالزلفى إليهم ، كما قال الله تعالى فى القرآن الكريم : ﴿ ما نَعْبدُهُم إلاَّ ليقرِّبُونا إلَى الله زُلْفَى ﴾ [الزمر آية ٣] فانقلبوا عبدة أصنام ليس لهم من ديانة إبراهيم إلا بعض المراسم والمناسك مثل الحج والطواف ، والسعى والوقوف بعرفة أو بمزدلفة ، ورمى الجمار والنحر .. » [١] .

وأشهر أصنام العرب - إذ كان لكل قبيلة صنم تتقرب به - اللات والعزى ، ومناة وهبل الأكبر ، وودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر . وانتشرت بين العرب بعض الديانات كالنصرانية ، جاءت لبلاد العرب عن طريق الحبشة وطريق الرومان ، وكاليهودية ، جاءت عن طريق مهاجرة اليهود إلى يثرب وشمال الحجاز ، وقيل إنها أثرت تأثيراً واضحاً فى عصور ما قبل البعثة النبوية ، حتى إن أحد ملوك حمير تهوَّد هو وأكثر أتباعه . وقد قال صاحب « صبح الأعشى » : إن ما كانت عليه العرب فى الجاهلية قد يكون على وجه من ثلاثة وجوه : الأول ما يجرى مجرى الديانات ، والثانى ما يجرى مجرى الاصطلاحات والعادات ، والثالث ما يجرى مجرى الخرافات والأوهام ، وقد أبطل الإسلام كل هذا وأشهره الكهانة والزجر والطيرة ، والميسر والقداح والأزلام ، والبحيرة والسائبة والوسيلة والحامى وغير ذلك [٢] .

والنظام القبلى كان الأصل فى المجتمع البدوى .. فكل بيت يمثل أسرة ، والمعسكر المكوَّن من عدة بيوت يسمى حيًّا ، وأعضاء الحى الواحد يكوِّنون عشيرة أو بطناً ، ومجموعة الأقوام القريبة النسب يكوِّنون قبيلة ، ويعد أفراد القوم الواحد أنفسهم أبناء دم واحد ، يخضعون لرئيس واحد هو أسن أعضاء القوم وأبرزهم من أكبر بيوتهم .

والبيت وما يشتمل عليه من متاع يعتبر ملك الفرد ، وأمَّا الماء والمرعى والأرض الزراعية ، فهى ملك مشاع للقبيلة ، والغزو هو محور نشاط فرسان القبائل ومراد معيشتها .

وقد يعتبر الغزو من اللصوصية وانتهاك الحرمات ، ولكنه كان فى ذلك العصر ضرورة اجتماعية ، بل إنه قد يرتقى إلى مستوى النظام القومى ، ومن قواعد الغزو أنه كان لا يراق فيه دم إلا فى حالة الضرورة القصوى ، وكان العُرف القائم أنَّ الدم لا يغسله إلا الدم ، وفى بعض الأحيان كانت تُقبل الديات ، ولذلك مرتبات معينة . فإذا اقترف أحد الأفراد جريمة

---

(١) فؤاد حمزة / قلب جزيرة العرب ص ٢٥٤ م السلفية مصر .

(٢) القلقشندى / صبح الأعشى ج ١ ص ٣٩٨

القتل فى داخل حدود قومه لم يجد من يحميه ، فإذا فرَّ عُدَّ طريداً أو خارجاً على القانون ، وإذا ارتكب جريمة القتل خارج القوم أقيم الثأر ، وأصبح كل فرد من أعضاء القوم معرَّضاً لأن يثأر منه ، وأن تكون حياته فداء المقتول ، وقد يستمر طلب الدم أربعين سنة كما حدث فى حرب البسوس بين بنى بكر وبنى تغلب ، ثم فى حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ، إلى غير ذلك من القواعد والتقاليد المتعارف عليها ، والمتبعة سلطاناً سائداً وقانوناً صارماً فى الجاهلية ، سلطان القوة القاهرة المستندة على القوى البدنية وقوة التعصب القبلى [١] . وإن أمة من الأمم لم تتوافر لديها أسباب التطاحن والعراك ، وبواعث النضال والاشتباك ، كما توافرت لدى أمة العرب فى جاهليتها ، فإذا أمحلت القبيلة فى موطن انتجعت موطناً آخر ، وانتزعته من غيرها انتزاعاً بأسنة الرماح وشفار السيوف ، كما يكفى أن تكون غارة بين قبيلتين سبباً لتأريث حرب طاحنة بين عديد من القبائل والبطون العربية . وحربا البسوس وداحس والغبراء خير دليل على ذلك .

وقد كان يخفف من حدة هذه الحياة وصرامتها الرهبة والوجل من بعض العادات والتقاليد المشتركة بين الخرافة والدين [٢] .

ومن عادات العرب فى الحروب ، أنهم كانوا يسيرون ليلا ليداهموا خصمهم ويشلُّوا حركته ، ويوقعوا الفوضى والاضطراب بين صفوفه ، فتنحلُّ عزيمته ويركن إلى الفرار وترك غنائمه وذخائره ، فيستولون عليها ، ويتمتعون بنفائسها ، وربما ساروا إلى عدوهم سحراً ليصبحوه الغارة المبكِّرة التى لا تُبقى ولا تذر [٣] .

ومن ثم كانت عنايتهم بآلات الحرب من سيوف ورماح ودروع وخوذات وأقواس ونبال ، وعنايتهم بالخيل والجمال والبغال . كما صقلت الحرب فى نفوسهم طبائع الشجاعة والنجدة والبأس والقوة المذخورة فيها ، وهى صفات حميدة ما فى ذلك من ريب تتنافى وصفات الخور والضعف والجبن والهلع .

ومن مظاهر حب القوة والغلبة فى تاريخ العرب ، ما أطلق على القبائل من أسماء كأسماء

---

(١) يرى الأستاذ أحمد أمين فى كتابه « ضحى الإسلام » (ج ١ ص ١٧) « أن العرب فى الجاهلية لم يكن لهم شعور قوى بأنهم أمة ، إنما كان الشعور القوى عندهم شعور الفرد بقبيلته ، ذلك أنا إذا رجعنا إلى ما نرجح صحته من الشعر الجاهلى ، وجدناه مملوءاً بالشعور القبلى ، فالعربى يمدح قبيلته ويتغنى بانتصارها ، ويعدد محاسنها ، ويهجو القبيلة الآخرى من أجل قبيلته . ولكن قَلَّ أن نجد شعراً يتغنى فيه العربى بأنه عربى ، ويفخر فيه على غيره من الأمم ! » .

(٢) فؤاد حمزة / قلب الجزيرة العربية ص ٢٥٥ .

(٣) السباعى بيومى / تاريخ الأدب العربى ص ١ ص ٤٣ .

الحيوان ، مثل : أسد وفهد ونمر وذئب ، ومن غير الحيوان مثل : حجر وجشم وعبس [١] ، وما سموا به أبناءهم من أسماء مثل : كليب ، وبغيض ، وصفوان ، والقعقاع ، وسويد ، وحنظلة ، وخداش ، وظالم ، وضبة ، وهبار - ترجيحاً لمسميات هذه الصفات التى تحمل طابع الصلابة وسمة الصولة والفتوة ، ومن طبيعة العرب أنهم كانوا لا يسفكون دماء الجواسيس ، بل يطلقون سراحهم إمعاناً فى تحدى خصومهم ، ولكى يشعروهم قوتهم وغلبتهم بما يتحدث به هؤلاء الجواسيس من مدى منعتهم وجبروتهم [٢] .

ومن عادات الاجتماع عندهم حضور مواسم معينة فى أوقات معلومة وأماكن معروفة ، يقال لها : أسواق العرب ، وأهم أسواقهم التى تقام هى دومة الجندل ، وذو المجاز ، والمجنة ، وعكاظ . ويذكر أن من تقاليدهم أيضاً عدم التقيد بحد محدود فى الزواج والتبنى والتسرى .

ومن المؤثرات فى حياتهم : حبهم لاكتساب المفاخر ، وحسن الذكر ، واقتناص الثأر ، واجتناب العار والعوز ، والرغبة فى السؤدد والكرم والزعامة والوفاء .

وفى غمرة اصطلائهم نيران الحروب ، وغشيانهم معمعان الوغى ، يتفجر من نفوسهم شعر الحماسة بليغاً هدَّاراً ، وتتجاوب مع أصدائه ألحان الفخر وملاحم النصر ، وتفيد اللغة من وراء ذلك أعظم الفائدة ، كما يفيد الأدب أحسن الجدوى بما تزخر به تلك الأشعار من معان رائعة وألفاظ جزلة ، وبما خلفته من ميراث ضخم يزيد من رصيد لغة العرب .

الوضع السياسى :

إزاء كل هذه التيارات والأوضاع السائدة ، وفى غمرة هذه العوامل والمعتقدات التى سربلت حياة العرب فى ذلك العصر ، لم يكن من الميسور أن يتكون لهذه الجماعات المتفرقة المتناثرة كيان سياسى محدد المعالم والأهداف ، يؤثر فيها تأثيراً قوياً واضحاً .

وقد جاورت العربَ حكومات ثلاث ذات قوى وقهر وتسلط ، هى حكومة الروم وسلطانها فى الشام ومشارفه ، وحكومة الفرس ومنطقة نفوذها العراق وما جاورها ، وحكومة الأحباش ودائرة نفوذها اليمن ونواحيه .

وتقاذفت عرب الجزيرة الأهواء ، فهم يدخلون مرة فى أهل العراق ، وتارة مع أهل الشام ، حيث كانت الجزيرة خلواً من ملك يفرض عليها السلطان ، ويدعِّم من كيانها ويجمع شتاتها ، وذلك للنزاع القبلى والتباين العنصرى وحب الظهور والبروز الغريزى ، على أنه قد كانت عند بعض القبائل فى الحجاز حكومة صغيرة هى حكومة « قريش » ومهمتها حماية

---

(١) السباعى بيومى / تاريخ الأدب العربى ص ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) عمر الدسوقى / الفتوة عند العرب ص ٥٥ ، م لجنة البيان العربى .

الحرم ، والمحافظة على أصنام العرب وأوثانهم ، وتيسير الحج ورعاية البيت ، إلا أنها لم تكن بذات مظهر قوى يمكن لها فى نفوس الجميع ، حيث ظهر ضعفها حين قصد الأحباش غزو مكة ، وإن تكن هذه الحادثة الكبرى قد أثرت تأثيراً واضحاً فى الشعور السياسى ، حيث اجتمع العرب من جميع الجهات وشتى الأقطار كى يصدوا غزو أبرهة الحبشى للحرم ، ودانوا بالزعامة لشيخ قريش المسيطر على الحرم ، لرد عادية ذلك الصائل المعتدى ، ولكن رب البيت قد تكفل بحماية بيته وأرسل على الغازين طيراً أبابيل ﴿ ترْميهِم بِحِجَارةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۞ فجَعَلَهُم كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ .

والسلطة عند حكومة القرشيين بمكة كانت مزيجاً من زعامة الدين والصدارة الدنيوية ، وقد حكمت فى الحرم وما حوله بصفتها مشرفة على الحجيج ، ومنفذة لحكم شريعة إبراهيم ، وبحكم كونها صاحبة سدانة البيت ، وقد كانت سدانة الكعبة يتولاها حى من أحياء قريش هم بنو عبد الدار ، وكانت هنالك دار الندوة ، وهى مكان التشاور والاجتماع والفصل فى بعض القضايا ، فهى برلمانهم ومجلس شوراهم .

وفيما عدا حكومة الحجاز الشبيهة بالرمزية هذه ، لم يكن للعرب من مرجع يلجَئون إليه فى حل منازعاتهم ومشكلاتهم ، مما جعلهم عرضة للتفكك والانقسام والخلافات العصبية ، حتى قيَّض الله للعرب والمسلمين بعثة رسوله النبى الأمى الكريم صلى الله عليه وسلم [1] .

هذه لمحة عن العرب فى العصر الجاهلى ، وصورة مصغرة عن حالتهم فى تلك الحقبة التى كونت بيئة قبيلة عبس .

---

(١) فؤاد حمزة / قلب جزيرة العرب ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ .